بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى البعض من أبناء ملّتنا، الذين يقرؤون القرآن ليل نهار ويمرون بجانب الآية القرآنية الثالثة من سورة الأعراف ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾، ولا يتدبرون معانيها ولا يعلمون بما جاءت به وهي تأمرهم بأن يتبعوا ما أنزل ربهم إليهم ولا يتبعوا من دونه أولياء وتذكرهم تلك الآية العظيمة بأن القليل منهم هو الذي يتذكر ما جاءت به الآية. وتقول لهم آية أخرى جاءت في سورة البقرة عن الأسلاف بأن ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٤] وتكررت في الآية ١٤١. ومع علمهم وحفظهم لهذه الآية يقول لك، مدعي السلفية: نحن نفهم كتاب الله وسنة نبيه على فهم أسلافنا، وكأن أسلافهم قد أحاطوا بعلم الله الذي لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء، وهم ومن بعدهم لم يؤتوا من العلم إلا قليلاً، وحجّروا القرآن بفهم بشر عاشوا في زمان ومكان محددين مختلفين تماما عن عصرنا، وهم يقرؤون القرآن الذي لا تنقضي عجائبه ولا يعلم تأويله إلا الذي أنزله الذي يعلم ما في أنفسنا ولا نعلم ما في نفسه، ولا ما هو مقصده الإلهي سبحانه وتعالى، خاصة في الآيات المتشابهات التي يفسرها تفسيرا هوائيا أصحاب الزيغ والانحراف، الذين عطلوا عقولهم، وآثروا أن يفكر الأسلاف نيابة عنهم، ففقدوا الثقة في أنفسهم، واحتقروا عقولهم. التي لولاها لكانوا كمخلوقات لم يكرمها الله مثلهم، خلقت لهم، ووجدت لتعيش تأكل وتشرب وتتكاثر. ولولا هذا العقل لما اختاروا أن يكونوا سلفيين مسلمين، ولولا هذا العقل لما آمنوا بأن

القرآن حق والسنة حق والله حق والجنة حق، وكل شيء أحقه الله فهو حق؟!!!! ولولا العقل لما تمكنوا من نفي الألوهية عن غير الله، بـ (لا) نفيا ، وأثبتوها له بـ(إلا) استثناء.

نحن هنا لا نريد إلا الإصلاح ما استطعنا، ونعمل على لم الشمل ووحدة الأمة، ونتحرك نحو الاقتراب أكثر وأكثر من إخواننا الملتزمين بمنهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي، ومن نسج على منواله مثل الشيخ ربيع بن الهادي المدخلي، من أجل معرفة طريقة منهجهم في الفهم والفقه والتفكير، خاصة وأنهم يقولون أنهم يبدون اهتماما وحرصا على معرفة الدليل النقلي القاطع، والبرهان الساطع، والقرينة والحجة والشاهد في كل مسألة من مسائل الدين، عقيدة وشريعة، عبادات ومعاملات، وهذه قاعدة تحسب لهم ولا تنكر عليهم لولا أنهم يعتقدون في أشياخهم الكمال الغير قابل للنقد والمراجعة، ومع ذلك يقولون لك: كل واحد من مشايخنا يؤخذ منه ويرد إلا صاحب ذلك القبر ويقصدون به محمداً رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- تقليدا لإمام دار الهجرة الإمام مالك، لا شك أن في هذا نوع من التناقض؟!. يفهمون الكتاب والسنة بعقول مشائخهم خاصة سلفهم القريب، ثم يصرون على أن كل واحد من أولئك الأسلاف يؤخذ من كلامه ويرد؟!، كأن دور العقول ينحصر في القبول والرفض، أما أن يكون لهم اجتهادا خاصا بمشاكل واقعهم وزمنهم فهذا مستحيل لأن المشائخ من سلفهم قد أحاطوا علماً بكل ما سيحدث في الأزمنة القادمة، وبكل مشاكلها الغيبية، وما عليهم إلا تطبيق القياس السلفي الجاهز، وتفصيله على كل مشكلة مستجدة ومستحدثة، وكفى السلفيين الاجتهاد والتفكير ووجع الدماغ والفكر. والعقل حقيقة، ما خلقه الله إلا للتأمل والتفكير والبحث عن الحق والتواصي به.

إن السلفيين القائلين بمنهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي من أبناء أمتنا، يتكبرون على الحوار والجدال إلا فيما بينهم فقط، وممن هو متشبه بهم، ولا

يتشبهون إلا بأسلافهم من مشايخ الوهابية وذلك ديدنهم وشغلهم الشاغل. وعندما تتأملهم في نقاشهم ومسلكهم تبرز أمامك حقيقة غربتهم عن واقعهم، وتدرك مدى انقطاعهم عن عصرهم، وعند الاقتراب منهم بالحوار السمح والجدال بالتي هي أحسن والتواصي معهم بما تراه حقا، لا يقبلون ذلك، وقد يمقتونك ويزدرونك ويحرضون على ازدرائك، مع أن التواصي بالحق أهم طرق الإيمان المنجي من الخسران، ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر]، والإنسان جدالي بفطرته بشهادة القرآن الكريم نفسه: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤]، والجدل في نظرهم يؤدي إلى الخصومة والغل والحسد والصراع والعداوات. مع أن الجدل هو الذي يعطي للحياة معنى عندما، تتلاقح الأفكار والثقافات والمعارف والعلوم بين الشعوب والقبائل، عبر التعارف والحوار والموعظة الحسنة، والجدل بالتي هي أحسن، كما أمر الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أن يعض أتباعه بالحسنى، ويجادل المخالفين له في الملة بما هو أحسن من الحسنى.

السلفيون من القائلين بمنهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي يزعمون أنهم يطبقون سنة النبي محمد بن عبد الله صلى الله عليه واله وسلم، لكنهم يكرهون الجدال بالحسنى وغير الحسنى، ونبينا الكريم صلى الله عليه واله وسلم جادل وناقش. لقد حاور الكفار والمنافقين وأهل الكتاب حتى الجن تحاور معهم واستمعوا له. وتحاورت الملائكة مع رب السموات والأرض، ولولا الجدال بين المرأة وزوجها لما ظهر الحق والعدل وسماع الشكوى وإنصاف المرأة المجادلة في القرآن.

نحن نعتقد أن مسألة النفور من الحوار المبني على الإحترام والأخوة في

الدين والوجود يسبب أزمة للعقل المسلم، تبعد المسلمون عن فهم واقعهم وكيفية التعامل مع غيرهم، خاصة إذا كان ذلك مقرونا بهيمنة فكرة جمود حركة التاريخ فلا جديد فيها ولا تجديد، وأن الأفكار لا تتطور والحياة لا تتغير والوسائل لا تتجدد والمشاكل لا تختلف، كأن التاريخ لا يتحرك إلا مرة واحدة حدثت في فجر الإسلام وعصور الخيرية الثلاثة التي تلته، التي نتفق جميعا على أنها حددت المنهج الصحيح لاستنباط الأحكام الشرعية من الذكر الحكيم، ولكن هذا الإعتقاد لا يعني أن التاريخ يعيد نفسه، وأن الناس نسخا مكررة عن تلك الحقبة من العصر الذهبي للإسلام، والأنكى من ذلك والأمر أن نصر على تربية الشباب على التلقين والتلقي والمشافهة والترديد والتكرار والاجترار، وأن كل محاولة للتجديد هي بدعة في الدين، وهذا بالتأكيد لن يشجع المبتدئ على إبداء الرأي لتأكيد الفهم، وتشجيع المبادرة المنضبطة بقواعد الأصول، وهذا لن ينتج عنه الأ جيلا مقموعاً فكريا، خانعاً مسلوب الإرادة مرتهناً في تفكيره لغيره، شعاره الطاعة العمياء، ومثله لا ينتظر منه أن يكون له رأي مستقل، يبادر إلى تغيير المنكر في واقعه الحاضر، وهو يعيش في الماضي بأفكار من سبقوه، ويحتقر العقل والتفكير الذي لولاه لما عرفنا أن النقل هو الدين الحق؟. ولكن يبدو أن فاقد الشيء لا يعطيه، وهناك أزمة فكر وفهم في منهج التفكير عند أخينا السلفي المقيد بمنهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي برز في وقت وبيئة مختلفة تماما عن متغيرات عصرنا المعاش، فهو يردد ليل نهار دون كلل ولا ملل أقوال مشايخه من السادة الكبراء تلاميذ محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي، وما يقوله الشيخ ربيع بن الهادي المدخلي مع الإقرار بفضلهم وحسن نواياهم، ولكن الخطير اعتبار تلك الأقوال هي والقرآن والسنة سواء بسواء.

نحن لا نفتري على أحد، إذ قلنا أنه جانب الحقيقة من يدعي أن فهم أي شيخ من المشايخ هو الكتاب والسنة، باعتبار أن الرسول وحده صلى الله عليه

واله وسلم دون سواه أوحي له القرآن وفهمه، وبعث لينقل للناس رسالة خالقهم، ويعلمهم الحكمة وهي استنباط الأحكام من الرسالة ليتم الاحتكام إليها والحكم بها، وكون الفهم قاصرا وضيقا إذا قيدناه بفهم بعض المنتقين من شرّاح البخاري ومسلم وأصحاب السنن، ويعتمدون على بعض مفسري القرآن اعتمادا كليا، وكلهم بشر غير معصومين من الخطأ، فكيف يرتهن أحدهم بأفكاره ومعتقده على من كُتب عليه السهو والخطأ والنسيان، وغير المبرأ من التدليس والتلبيس؟، وفي الأخير تسمع من يقول لك أنا أفهم الكتاب والسنة على فهم السلف، مع أن القرآن الكريم لم ترد فيه آية يقول الله فيها : أفلا يتدبرون القرآن على فهم السلف، والأسلاف القدماء رحمهم الله! منعوا تلاميذهم من تقليدهم وقالوا لهم خذوا من حيث أخذنا (أي القرآن والسنة)، ولا تقلدونا ولا تقلدوا الثوري ولا الأوزاعي ولا الشافعي ولا مالك ولا ابن حنبل، وإخواننا السلفيون من أبناء المنهج الوهابي خاصة المداخلة المعاصرون يقولون لنا هذا الكلام، وهم يعلمون أن التقليد دون تمحيص واع لا يكون إلا للإنسان الذي في عقله خفة وسفه، والذي هو جاهل وعاجز لا يعلم من القرآن والسنة إلا أماني، كما قال جهّال أهل الكتاب من اليهود، ولا يجوز تقليد العلماء إلاّ لمن لا يستطيع الفهم ولا الفقه ولا يستطيع أن يتدبر أمور الدنيا والدين، والعاجز عن الاستنباط ومعرفة الحلال والحرام البين والواضح، فالاجتهاد واجب على كل مسلم ومسلمة، بل لا يجوز التقليد إلا باجتهاد في البحث على من يمكن تقليده، أما من يستطيع تدبر كلام الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، الحصيف في رأيه وليس عنده زيغ ولا ميل ولا انحراف فينبغي له أن يبحث عن الحق في مظانّه، ولا يرهن تفكيره لغيره ومتى ما وجد الحق اتبعه، لأن الإجماع هو ما وافق الحق وإن كنت وحدك. قال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ :٤٦]. وليس هناك تناقض بين العقل

والنقل لأن النقل الصحيح لا يناقض العقل الصريح كما ورد عن أغلب العلماء السابقين المحققين رحمهم الله!.

لقد شبه حجة الإسلام الغزالي العقل مع الوحي بأنهما نور على نور، ولم يخاطب الله سبحانه وتعالى في القرآن إلا العقلاء، لا المجانين ولا فاقدي البصر والبصيرة المرتهنين بعقولهم للآخرين ومسلوبي الإرادة والقوة، ورسولنا الكريم يقول : "المؤمن القوي عند الله خير من المؤمن الضعيف". والضعيف هو الغير واثق من نفسه البليد في إيمانه، فهو الضعيف مادياً ومعنوياً، ولا شك أن الذي يلغي عقله وتفكيره يلغي حريته وآدميته وإنسانيته، لأنه يحتقر عقله، ويحتقر من يفكر ويتدبر ويتأمل ويتعظ، وينزل إلى مرتبة البهائم والدواب غير المكلفة.

إن الفكر الإسلامي سيتورط في مأزق إذا وافق من يأمره باتباع مقولة: (أطفئ سراج عقلك وأتبعني)، وهذا الشعار كان شعار الكنيسة المسيحية في القرون الوسطى في أوروبا، ومن يروج هذه المقولات يجعل من السلف الصالح رضوان الله عليهم كالباباوات والأحبار والرهبان الذين إذا ربطوا شيئاً في الأرض فقد ربطه الله في السماء، كما يدعون، لأنهم يعتقدون بأن الباباوات ورجال الدين يمثلون الله في الأرض، ويتكلمون نيابة عنه.

إن مشكلة مقلدوا هذا المنهج أنهم يعتمدون على الثقة وليس على الدليل كما يعتقدون، دون إدراك لحقيقة أن الفقهاء من السلف والخلف هم حمّالوا أدلّة، وليسوا أدلّة، فالحامل للدّليل ليس كالدّليل، والرجال يعرفون بالحق وليس العكس،(أعرف الحق تعرف أهله) كما قال الإمام علي كرم الله وجهه، وليس العكس أيضاً !.

لا ينكر إلا من دمر الغبش بصيرته فرانت الجاهلية على عقله وتنكبت أفكاره جادة الصواب، أن العقل ينشط ويزدهر بالإطلاع على كل الأفكار، دون

إقصاء، بشرط قراءتها قراءة نقدية عالمة، وهذه المرتبة الأولى من مراتب العقل (العقل الكسبي) التي صنفها حجة الإسلام الإمام أبي حامد الغزالي، يليها المرتبة الثانية للعقل وهو العقل الذوقي، الذي تربّى فيه العاقل على الالتزام بما عرف من الحق، ليصل بذلك إلى التقوى، في انتظار أن يمن عليه الله بالعقل الوهبي والعلم اللدنّي، (واتقوا الله ويعلمكم الله). فلا يكفي المجتهد قراءة باب واحد من أبواب العلم، بل يجب عليه الإحاطة بالمصطلحات والتاريخ واستخدام أدوات مساعدة شتى، وهو أمر لا يعترف به السلفيون الوهابيون والمداخة جملة وتفصيلا. الذين يرون التاريخ على صورة مقلوبة، ولا يخرج المسلم المؤمن المتيقن، من محاورتهم ومحاولة فهمهم إلا بالإحباط والأسى وأحيانا العداوة، بسبب التكفير الذي يناله منهم إذا خالفهم. حتى وإن كان كلامه مبنيا على حقائق قطعية مثل كروية الأرض ودورانها، عندهم من يردد هذه الحقيقة المؤكدة كافر مرتد يستتاب أو يقام عليه الحد.؟ !.

لا شك أن المسلم المؤمن طالب العلم لا يرى في التفاسير مثلا إلاّ مصادر يستأنس بها، فليست هي النصوص المقدسة؟، وليس كما يدعي البعض أنه كلما رجعت إلى الخلف عثرت على النصوص الأفضل، وهكذا فتفسير الطبري خير من ابن كثير، وابن عباس خير من الاثنين، لقربه من مستودع الحقيقة النهائية.. وهو أمر قد يمر على بعض العقول بإغراء مناسب، ولكن تأمله لا يقود إلاّ إلى كارثة فكرية؟، لأن القرآن تحتشد فيه مفاهيم كثيرة وضعت لتضيء حقائقها مع الزمن، وإلاّ اعتبرنا القرآن جاء محصورا لقوم بعينهم وزمن محدد، وهو قول لا يقوله نفس أنصار التيار المتسلف، وهو دليل جديد على الدوغمائية، أي عدم القدرة على اكتشاف التناقض داخل نفس الفكرة، والإصرار عليها إلى الرمق الأخير، حتى لو قامت كل الأدلة ضدها.. والنكبة الأخرى هي الإبحار بزورق ضعيف كالجندول مصمم لجدول رقراق هادئ، في بحر لجّيٍّ بدون بوصلة

وإسطرلاب وخارطة ومتانة قادرة عل تجاوز أعتى الأعاصير المعروفة.

كوارث عقلية متراكب بعضها فوق بعض: تعطيل القرآن الدستور الأساسي للأمة وشريعتها، ثم إلغائه ونسخه وتجميد حركته مع الزمن من حيث لا يشعرون. وتعطيل عقلي في فهم حركة النصوص، والعلماء فقط هم الذين يعرفون أن هناك دوما علاقة بين الحكم والعلة، وأن الحكم يدور مع العلّة وجودا وعدما، وهو ما برع فيه علماء الإسلام قديما ويحتاج للتجديد، أي بناء الفكر الديني على نحو عقلاني معاصر، يستوعب المستجدات ويؤكد الأصول والثوابت، بتأسيس علم خاص يعمل على تجديد الاستنباط وعصرنته، وهو نفس الفكر الذي دفع الإمام أبوحنيفة النعمان في عصره وعن قصد، عدم اعتماد النصوص غير القرآنية إلا من خلال حركة العقل، وأن حديث الآحاد الذي هو أغلب الأحاديث يفيد (غلبة الظن) وهو بذلك لا يكون قطعيا، والمعنى الذي أراده (أبو حنيفة النعمان) بحركته العقلية لفهم النصوص والأحكام، في جو من العقلانية المنظّمة، كلفته حياته مسموما بعد السجن والتنكيل، في جو الاضطراب السياسي والاضطهاد العقلاني وطغيان السلطة واستبدادها، وقد تعرض منهجه العقلاني هذا إلى حرب شعواء شنت عليه من دعاة السلفية القدماء الذين امتلأت كتبهم بوصف الإمام أبي حنيفة بأفضع النعوث، واتهامه بأبشع الموبقات، غلطوه وفسقوه بل وكفروه، دون دليل أو حجة غير تعقله في استنباط الدليل.

المؤلم حقا هو استمرار هذا النهج في الهيمنة على العقل المسلم، في أمة مصابة بفيروس الجاهلية، فلا شك أن هذا الفيروس أصاب الأمة بوباء فقدان المناعة الحضارية المكتسبة بالإسلام، فشلّت مقاومتها، وما لم تعيد الاعتبار إلى العقل المسلم والعمل على تحريره من أسر الجاهلية المعاصرة، فلا يمكن التوقع بغير غرق العالم الإسلامي، ذلك الغرق الذي نرى بداياته اليوم، وهو يناقش مشكلة إرضاع المراهق، لرفع مشكلة الخلوة مع أجنبية، وهو أمر متوقع لقوم كفوا

عن العمل واشتغلوا بالسفاسف والجدل السلفي العقيم، كما كانت نهاية بيزنطة، يناقشون في جو كسول رتيب، من الثرثرة المملة، عن جنس الملائكة؟ هل هم ذكور أم إناث؟، والشاب الذي يختلي بامرأة أجنبية عنده طريقة ممتازة لدفع الحرمة، وليس عليه سوى ان يلتقم ثدي تلك التي تعمل معه في نفس القسم، فيمصه، لتصبح المرأة حرام عليه لوجود نص بذلك؟!، بعد خلع النص من كل إحداثياته وتاريخيته، ومدى صحته، لنسبح في بحر غامض من النصوص، ولنفتري على الله الكذب وباسم الله ذاته.. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فهل حان الوقت لمراجعة مزعجة للتراث؟؟، ثم تنقيته من الأوبئة الفكرية الموروثة على امتداد التاريخ.